

المسلمون والبولونيون

في الغرب من مملكة روسيا وفي الجنوب من بروسيا وفي الشمال من النمسا بلاد متناحية الاطراف واسعة البقاع محصنة الرباع كثيرة الانهار والغابات والمناجم اسمها بولونيا اي السهل باللغة الصقلية وهي المعروفة في تواريخ الانراك باسم « هستان » قضى عليها نكد الطالع ان تفقد استقلالها لاختلاف كلمة امراثا وابناثا منذ نحو قرن ونصف فتقسمتها روسيا والنمسا والمانيا وتبلغ مساحة بولونيا الروسية وفيها عاصمة البلاد القديمة « فارسوفيا » ١٢٧٠٣١٩ كيلومتراً مربعاً وسكانها ٩٦٤٥٦٠٠٠ واذا اضفنا اليهم سكان بولونيا النمساوية وبولونيا الالمانية يبلغ عددهم نحو عشرين مليوناً بحسب تقدير الجغرافيات الحديثة من اهل اوربا يدين نحو نصفهم بالكشككة وباقيهم اسرايليون وبرتشتات ومسلمون تاتار

ومناخ هذه البلاد شديد ولكنه معتدل في الجملة اذا قيس بمناخ روسيا وهو حار في الصيف بارد جداً في الشتاء ونقل فيها الثلوج وتجمد الانهار في الشتاء من شهرين ونصف الى ثلاثة اشهر ونصف وقد انتشرت فيها الصناعات لكثرة ما فيها من الفحم الحجري فاصبحت اهم اقاليم روسيا من هذه الوجهة اما التجارة فتكاد تكون محصورة في ابدي الاسرايليين

وتاريخ هذه الامة القديم غامض اشبه بأساطير حتى القرن التاسع لميلاد وغاية ما يعلم ان هذه الاقطار الممتدة بين البحر الاسود وبحر البلطيق كان يسكنها في الاصل شعوب اسمها الاتس والمنت والفاند ثم زلها الصقالبة . واول زعيم انشأ مملكة بولونيا فلاح صالح اسمه يياست فتحكمها الى سنة ١٣٣٣ ودخلت النصرانية الى بولونيا على يد ميخائيل الاول (٩٦٢-٩٩٢) وانضمت بلاد ليتوانيا الى بولونيا في القرن الرابع عشر بزواج هدويج ابنة كازمير الاول (١٣٣٣-١٣٧٠) من لاديسلاس جاجلون

وفي اوائل القرن الخامس عشر اي وفي العهد الذي بدأت تنشأ فيه اوربا ممالك مطلقة الحكم مبتدئة السلطان بدأ الفشل السياسي والفوضى الادارية تدب في مملكة بولونيا مما عجل تقسيمها وحذفها من رقعة السياسة الاوربية وذلك لاختلاف مصالح البلادين ليتوانيا وبولونيا واختلاف لسانيهما فكانت مجالس النواب في الولايات متباينة

المقاصد تعاكس الملك في اقل الامور حتى في عزل الموظفين الذين كانوا يعينون بلا عزل مدة حياتهم وقل صاحب رأي في الانتخاب يوقف عمل الاكثرية ويفسد عليها امرها حتى انقلبت الحال بعد ان كتب النصر لبولونياكي الهوسيين وفرسان حملة السيوف ان تبقى بلا حكومة ولا جيش ماعلا ايام أسرة جاجلون

قد بدأ انحطاط بولونيا على عهد سيجموند فازا سنة ١٦١٨ فاصيحت المملوكة بدون مالة ولايت ملك وطني بل كان ينتقل الملك من فرنسويي يعينه مجلس النواب الى يجري هذا وليس للبلاد حدود طبيعية تحميها من هجمات المهاجمين

ثم عادت الى البلاد بعض حياتها على عهد يوحنا سويسكي (١٦٧٤ - ١٦٩٥) فاصبح لها بعض مجد بجيش لما نظمته فالجيش البولوني انتقدت «فيتا» من ايدي العثمانيين الذين حاصروها ولكن لم تعد نجدة البولونيين للتمساوين بشيء من الفائدة عليهم ولا على حكومتهم . وخلف المنتخب فريدريك اغطس في ساكس ملكها سويسكي فاستند الى امارته سكسونيا فاستقام . امر بولونيا ثم خلع وتداخلت روسيا في امره ثم نشأ خصام بين بيوت الملك في بولونيا يدعي كل منهم حق التملك على البلاد وفي سنة ١٧٦٤ قضت ارادة كاتربنا الثانية صاحبة روسيا بتأييد ساتيسلاس بونياوفسكي على عرش السلطنة البولونية وفي وسط ذلك الاضطراب كثرت الانقسامات الداخلية وجاءت الفتن الدينية التي كانت هادئة عفاك فانضمت الى المناقشات السياسية وذلك بما تخلل الامر من عبث الاصابع الاجنبية فاستصرخ الاروام كاتربنا الثانية ^(١) امبراطورة روسيا واستنجد البرتشتات ماري تريز ملكة النمسا وفريدريك الثاني . وكان لروسيا نفوذ في مجلس نواب سنة ١٧٦٦ نسعت الى اطلاق حرية المذهب والفت حرية الانتخاب فاستقام امر الحكومة وكان الاضطراب على اتمه عندما أُلِف سنة ١٧٦٨ اتحاد بار يضم احترام الاستقلال الوطني ولكن كان قد سبق السيف العنذل فتقرر بين روسيا والنمسا سنة ١٧٧٢ تقسيم بولونيا ولم يقاوم في ذلك من الدول سوى الدولة العلية فتقسمت النمسا والمانيا وروسيا تلك المملكة العظمى وفي سنة ١٧٩٥ قسمت البلاد نهائيا فوقع العاصمة اي فارسوفيا من حصه روسيا وكرا كوفيا وفيها كلية بولونيا العظمى من حظ النمسا ونالت بروسيا بقية المملكة ثم نظم جزءا منها مملكة جديدة ولكنها انتقضت وثار سنة ١٨٣٠ فدخل الروس الى فارسوفيا بعد ان ابلى البولونيون بلاءا حسنا فانخلت مملكة فارسوفيا

واقفلت كلية فيلنا البولونية وصادرت الاموال ونفت الرجال فاصبحت بولونيا ولاية روسية وقام البولونيون سنة ١٨٦٣ ثانية وحملهم على الانتفاض ما رأوه من اشتغال روسيا في حرب الشرق فألف البولونيون منهم عسكرياً لا يفتي ولا يذر وبالنظر لقلة عدده تمكنت روسيا من قمع جماح الفتنة بعد سنة من نشوبها وما فتئ منذ ذلك العهد حال بولونيا في الولايات الروسية آيلاً الى نزع لغتها وإبدالها باللغة الروسية وتدريب أهلها على المناحي الروسية وكذلك حال ولايات بروسيا آخذ بالصيغة الالمانية الجرمانية

هذا اجمال من تاريخ انقسام مملكة بولونيا اما حالتها الادبية والعمرانية فان لغتها من فروع اللغات السلافية الغربية وغربية جداً من اللغة الكاسربية واللغة البولابية . وفي بولونيا عدة لهجات وقد نشأ من كلية كراكوفيا التي انشأها كازمير الاكبر عدة رجال في الفلسفة والعلم منهم كوبرنيك الفلكي ونجحت اللغة البولونية على عهد ملوكها من أسرة جاجلون وذلك بفضل دعاة المذهب البرتستانتي الذين اختاروا نشر تعاليمهم بلغة الشعب وعلى عهد يوحنا كوشانوفسكي سلم ذوق اللغة وتألفت على القواعد العلمية المألوفة لليونان والرومان ودام ذلك الى القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر وها قرنا الانحطاط لان القوم شغلوا بالفتن الداخلية فلم يعد احد ينظر في الادب وداهمت اللغة مفردات من اللغات الاجنبية .

وقد نشأ للآداب البولونية شعراء وكتاب كبار ومؤلفين ووعاظ واثريون ومؤرخون وجغرافيون وقصصيون ودخل الشعر البولوني على عهد ثورة سنة ١٨٣٠ في طور جديد واثرت في عقول الناهضين من شبانهم احوال الفن وانطلقت السنهم بالشعر المزوج بعواطف النفوس المتألمة ودامت طليقة الشعر في ارفاء الى اواخر القرن التاسع عشر بما نشأ لهم من الشعراء بل والشاعرات المجيدات الذين حركوا كوامن النفوس وهياؤها لمطلب الكمال والاستقلال وساعد القصصيون خاصة بما نشره من الاساطير والروايات على ترقية اللغة البولونية وادخال حياة جديدة فيها في العهد الاخير

دع عنك من خرج من هذه الامة من الفلاسفة والمؤرخين وان ما بقي من الآثار القليلة والعاديات في تلك البلاد ليدل دلالة واضحة على ان قدماء الصقالبة كانوا يحبون الصناعات والفنون وكذلك كانت الحال في القرون الوسطى في بولونيا فان ملوكها حموا حمى الصنائع النفيسة فكانوا يأتون من ايطاليا بالبنايين والنقاشين والمصورين حتى جاراهم البولونيون ونافسوه في هذه الاعمال بعد .

ولكن الفتن التي استطار شرارها في القرنين الأخيرين سلب من نفوس البولونيين قرارها فهايموا على وجوههم بعد فقد استقلالهم في طول اوريا واميركا وعرضها وكثر منهم المهاجرون ولاسيا الى اميركا الشمالية حتى قيل انهم بلغوا نحو مليوني بولوني يحافظون الى اليوم على لغتهم وآدابهم وعاداتهم القومية

وللبولونيين غرام فائق في احتفاظهم بلغتهم وتناغمهم بتاريخهم قترام كما طال المطال على تمزق ملكهم يحنون لاسترجاعه وثقوى عزائمهم على المطالبة به ولكن اوريا او الساسة من اهلها قد قدت قلوبهم من حجر فلا تسمع لباك ولا ترحم كل شاك. على ان البولونيين لم يعتمدوا بعد التجارب الكثيرة الا على انفسهم فكانوا ومازوا يستعدون في بلادهم وخارجها للتربية الحرة حتى لا تزول منهم ملكة الكر والفر وقد انشأوا لغرض الاستقلال جمعيات بشوا دعائها في بلادهم وفي اوريا واميركا يجمعون المال الى ايام الشدة وهذا المال يحفظونه في الغالب في فروع جمعياتهم في سويسرا وقد صرفوها كلها في الفتن الاخيرة التي ثارت في بولونيا الروسية عقيب حرب روسيا مع اليابان فكانت تأتينا اخبار فارسوفيا بفطائع البولونيين وشدة حكومة روسيا في قطع دابر الفتنة. وفي سويسرا ايضا حفظ البولونيون تاج آخر ملوكهم وصولجائه ونموذجا من البستهم جعلوها في متحف خاص

ولما انتشرت الحرية بعض الشيء في روسيا تنفس خناق البولونيين وقاموا يعيدون ايجاد آدابهم بمدارسهم ولم تنل روسيا مأربا من نزاع لغتهم وتقليد لغتها بالقوة بل عادت اللغة البولونية أكثر انتشارا مما كانت قبل انقسام بلادهم ومن الغريب ان التشت الذي اصاب اهلها والسعي الحثيث في معاملة مدارسها بالشدة في المانيا وروسيا لم تسفر الا عن اندماج كثير من اليهود والجرمانيين في الجنسية البولونية لان البولونيين من اقدر الامم على جلب غيرهم اليهم كأن من خواص شعبيهم ان يأخذ ولا يعطي

كانت النمسا ومازالت ارفق الدول الثلاث الكبرى التي تقاسمت بينها بولونيا بهذه الامة ولغتها وآدابها وعاداتها ولذلك كان خلاص البولونيين لها أكثر من اخلاصهم للامان والروس لانها ساوتهم بسائر عنائهم فلم يستشفوا ظلها ولا تبرموا بادارتها.

ولكثرة اندماج الالمانيين والامرياليين بالبولونيين من حيث يشعرون ولا يشعرون زادت نفوس فارسوفيا زيادة هائلة حتى بلغت الآن ثمانمائة الف وكانت اقل من خمسين الفا ايام التقسيم وعدت من عواصم بلاد اوريا وبالنظر لخصب البلاد وعراقتها سيف

الصناعات والتجارات ونشاط أهلها أكثر من سائر العناصر السلافية بلغت مداخيل
المصنوعات البولونية ٤٢٠ مليون روبل وكانت أقل من ثلاثين وبلغت قيمة الثروة العامة
في بولونيا الألمانية نحو ألف وثلاثمائة مليون مارك وكانت نحو أربعمائة مليون

وهكذا تجد تجارتها واسعة باتساع غاباتها ومناجمها وخصب تربتها واقتصاد أهلها
على الصناعة والتقليد حتى حاكوا أعرق الأمم الغربية في الحضارة وبكفي إن كوري
مخترع الراديو هو وعقيلته من أهل بولونيا وإن في أهل أوربا كثيرين ممن تعرفهم الآن
فرنسيين أو ألمانيين أو نموسيين أو إنكليزيين وهم في الحقيقة بولونيون لغة ومثلاً *

وبعد فيجدر وقد اتصل بنا نفس الكلام في هذا البحث إلى هذا الحد إن نلم بطرف
من تاريخ هذه الأمة وعلاقتها بالمسلمين ولا سيما بدولة آل عثمان فقد بدأت الصلات المهمة
بين بولونيا والأمم الإسلامية ^(١) على عهد لاديسلاس جاجلون والسلطان مراد العثماني
وحاكم بلاد المجر على ذلك العهد يوحنا هونياد وهو تابع لبولونيا وكانت تحدث مشاكل
على الدوام بين جيشه وجيش السلطان وبعد حروب وقتن كتب فيها النصر تارة للعثمانيين
وأخرى للمجر بين شملت نفوس الطرفين القتال فطلب السلطان مراد التوسط بالصلح
إلى صاحب بولونيا فوقع على صكه في ١٤ ربيع الآخر سنة ٨٤٨ هـ (١٤٤٤) لمدة
عشر سنين على أن يعيد السلطان بلاد الصرب إلى ملكها وإن تضم بلاد الفلاح إلى
المجر وبفتدي السلطان صهره محمد جلبي الذي أمر في وقعة كونو بيرا بسبعين ألف دوكا
(٨٠٥٠٠٠ فرنك)

وإذا صادف أن السلطان مراد تنازل عن عرش الملك لابنه محمد طمعت أوربا في
السلطنة ورأت أن الفرصة مناسبة للتدخل منها وعلى عرشها فتى لم يتجاوز الرابعة عشرة
من عمره فطلب إلى صاحب بولونيا أن يشارك الدول في تحالفهم على العثمانية فأبى للعهد
الذي عقده قبل مع سلطان العثمانيين فأرسل إليه البابا أوجين الرابع يصرح بأنه
لا خشية في بعض الأحوال من الحث بالائمان ومثل له بنفسه إذ أنه جهز ثمانية سفن
على ثقته وسمى نفسه رئيس العصبة فاضطر صاحب بولونيا أن يسير على الخططة التي رسمها

(١) كتاب بولونيا والإسلام لصدیقنا سريف الدين أفندي كاششوت البولوني
Thadée Gaxtowski. La Pologne et l'Islam.
Paris Société Française d'Imprimerie et de Li-
brairie 15 Rue de Cluny, 1907

امام الاحبار فانفذ بعوثه الى اقليم تراسيا واشتبك القتال بين المجريين والبولونيين والفلاحيين من جهة والعثمانيين من اخرى ونزل السلطان مراد بنفسه الى ساحة الوغى بدل ابنه الذي خلفه فقتل احد شيوخ المسكر العثماني واسمه خوجه خير ملك بولونيا فذهب الفشل في الجيش المنحزب كله وذلك في رجب سنة ٨٤٨ هـ (١٤٤٤)

قال المؤرخ ليونارد شودزوكو: «قال السلطان مراد بينما هو يطوف ساحة الوغى مع امين سره اذ يب بك لما رأى صرعى الحرب من اعداء: اليس من الغريب ان يكون كل هذا الجيش مؤلفاً من شبان وايس فيه شيخ واحد فاجابه اذ يب بك: لو كان فيه شيخ واحد لما اتى بنفسه في مثل هذه الورطة المجنونة» وقد فقد جيوش المحاربين في تلك الوقعة اشياء ثمينة ومنها سبجلات ملك بولونيا فقدت مع ما فقدت عند مصرعه وهي خسارة كبرى.

وفي سنة ١٤٤٧ كان التاتار في بلاد القريم في حروب دائمة فاجمع رأيهم على ان يحكموا كازمير جاجلون ملك بولونيا ودوق ليتوانيا فيما شجر بينهم فنزل بعض المتكويين من التاتار في بلاد ليتوانيا على الرحب والسعة واعطاهم صاحب بولونيا اراضي يتوفرون على زراعتها واخلصوا له ودافعوا في مواقف القتال عن حوزة بلاده واطلق لهم حربتهم الدينية حتى استمال بذلك قلوبهم وجاء الملك لاديسلاس الرابع وايد امتيازاتهم فأتشأوا لم جوامع ومنتارات وبعد ان كانوا بادية رحالة اصبحوا مزارعين ساكنين وادعين وفي سنة ١٤٩٤ جمع يوحنا البر ملك بولونيا بعض امراء النصرانية في جواره وتحالفوا على قتال العثمانيين فساق السلطان بايزيد جيشاً مؤلفاً من اربعين الف جندي اجتازوا نهر الطونة وانضموا الى الفلاحيين وهجموا سنة ١٨٩٤ على بلاد بولونيا وكان صدر الامر السلطاني الى والي سيلسترا ان يهاجم البولونيين ففتح العثمانيون البلاد على ايسر وجه لانبساط سهولها واستولوا على بعض مواقعها في وقتين ظفروا فيهما ولكن دام الجيش العثماني يرد فارس وثلج واعاصير فهلك منه اربعون الفا ولم يسل سوى عشرة آلاف جندي عادوا ادراجهم يجتازون نهر الطونة

واذ تحالف ملك بولونيا مع ملك المجر وملك ليتوانيا اضطر السلطان بايزيد ان يبعث الى كراكوتيا سفراً لعقد الصلح. وفي سنة ١٥٢١ ارسل السلطان سليمان الاول الى بلاد المجر سفيراً لم يجبه المجرىون الا بخنق سفيره فساق السلطان على المجر قوة من جيشه غلب بها المجر وان امدهم صاحب بولونيا بستة آلاف جندي لكن قوة الدولة العلية كانت

اعظم وعاد السلطان سليمان في ربيع سنة ١٥٢٦ ايضا في قوة من رجاله تكى بلاد المجر فامد صاحبها ملك بولونيا ولكن قوة الدولة العثمانية تغلبت فكتب النصر لاعلامها وهلك في المعركة لويز الثاني ملك المجر في خمسة وعشرين الفا من رجاله

ثم صار سليمان الى جهات المجر وارجع البلاد الى ملكها الشرعي وانقلبت الحال فتحالف سلطان العثمانيين مع ملكي بولونيا وفرنسا وتزوج السلطان سليمان بروكسلان من سبايا البولونيات فشغفته حبا واتخذها سلطانة شرعية وسماها خرمًا وكانت على غاية من الجمال والادب والذكاء ولكنها صرفت ذكاءها الى الحب فكانت القاضية على السلطان ان يعامل ابنه معاملة بربرية شهدت لها توارىخ العثمانيين فقتله بدصاصها

وسيف سنة ١٥٧٢ اعانت بولونيا الدولة العلية عند مآتداحات هذه لافرار الامن في نصابه في اقليم مولادافيا وسعت الدولة العلية كل السعي ان يبقى التحالف مستحكما بينها وبين فرنسا وبولونيا لدفع عوادي النمسا ولكن حكم بولونيا ملوك لم يعدوا لهذا الامر عدته . وفي سنة ١٥٧٦ تحالف السلطان مراد الثالث مع اتين باتوري امير ترانسلفانيا وملك بولونيا وجددت هذه المعاهدة سنة ١٦١٩

ولكن امير ترانسلفانيا واسمه بتم كايور كان يطمع في الاستيلاء على المجر فحرض العثمانيين والتاتار على البولونيين فوقعت بين صاحبي بولونيا والعثمانية وقعة اخرى سنة ١٦٢٠ كسر فيها البولونيون وفي سنة ١٦٢١ قام السلطان عثمان الثاني في مئة الف من جنده قاصداً الى بولونيا فدحر جيشه ولما رأى انه فقد منه شئون الفاضل اضطر يوم ٢٣ ذي القعدة ١٠٣٠ الى عقد صلح صدق عليه سيف الاستانة سنة ١٦٢٣ سفير بولونيا

ثم ان روسيا اهابت خاطر السلطان مراد الرابع على بولونيا ولكن حكمة صاحب بولونيا قضت بحقق الدماء وان كان ازمع السلطان العثماني ان يملأ بجيوشه السهل والوعر في بولونيا لكن السفير البولوني تطف في السفارة واغضى عما سمع من السلطان من ارادة هذا ان تدين بولونيا بالاسلام وتترك حصونها وتؤدي اليه الجزية فعتدت بين الدولة العثمانية وبولونيا معاهدة سنة ١٦٣٤ كانت نافعة للبولونيين . وفي تلك السنة بدأت روسيا بحجة الدفاع عن مسيحيي الشرق تدس الدسائس .

خدم نالي بك وهو بولوني واسمه الاصلي بويوفسكي الباب العالي اعظم خدمة في

القرن السابع عشر كما خدم البولونيين والليتوانيين فقد عيّنته الدولة مترجماً في الباب العالي وكان يحسن سبع عشرة لغة

وفي سنة ١٦٧٢ زادت الاخطار التي كانت تهدد بولونيا منذ سنة ١٦٥٢ فكان قيصر الروس يدرس الدسائس بين القوزاق والتاتار والأتراك ليعملهم على النيل من البولونيين حتى كان من السلطان محمد الرابع ان اعلن عليهم الحرب في نيسان سنة ١٦٧٢ فاستولى على كامينيك بودولسكي وليوبول وكلي اهم المواقع الحصينة من اقليم روتينيا غاليسيا . فطلب صاحب بولونيا الصلح من السلطان وتخلت بولونيا للباب العالي عن بودولي واوكرين وان تدفع اليه جزية سنوية قدرها ٢٣٠ ألف دوكا الا ان الامة البولونية لم ترض ان تدفع مثل هذه الجزية لما رأت فيها من العار عليها وآثرت ان تعود الى الحرب تموت في ساحاتها من ان تقبل بشروط ارتضاها ملكها مأفون الرأي ضعيف الحول والطول فماد السلطان محمد الرابع الى القتال وهاجم سويسكي جيوش العثمانيين في شوسيم على نهر دنيستر واستولى على المدينة ورجع العثمانيون على اعقابهم الى بابا طاغ حيث كان السلطان محباً فصادف ان مات في ذلك الحين ملك بولونيا فانصرف سويسكي الى فارسونيا للاشتراك في انتخاب ملك لبولونيا فقدر انتخابه ملكاً لها مكافأة له على الخدمة التي قدمها لامة . وعاد الى قتال العثمانيين فهزمهم في بودوليا واوكرانيا وفي ١٩ شبان ١٠٨٧ هـ عقد الصلح على ان لا تدفع بولونيا شيئاً ويبقى لها قسم من اقليم بودوليا ويحتفظ العثمانيون بكامينيك وان تكون مغانج الاماكن المقدسة بيد بولونيا لانها دولة تسامح لا تتعصب لكاثوليكي ولا لرومي ولا لبرستانتي ولا لغيرهم من اهل الاديان وذلك على الرغم من ارادة روسيا فصفت العلاقات بين الدولة العثمانية وحكومة بولونيا

ولما سافت الدولة العثمانية على فينا مائة وخمسين الف رجل وكادت تستولي عليها انجذ صاحب بولونيا صاحب النمسا فارتد العثمانيون عن عاصمة النمسا ثم اقتتل الجيش العثماني مع الجيش النمساوي سنة ١٦٩١ في سالانك على نهر الطونة فغلب العثمانيون اولاً ثم انهزموا فاقدن ثلاثين الفا من رجالهم وفي سنة ١٦٩٤ رد البولونيون العثمانيين من كامينيك بودولسكي

ونال العثمانيون على عهد مصطفى الثاني عدة نصرات على جمهورية البنادقة واستولوا على الهرسك وامدوها بالذخائر وجاز السلطان في جيشه الطونة ماراً بأقي بنار

(كارلسبرج) وتمسار ولاغوس وقاتل النمساويين فقتل زعيمهم وقتل العثمانيون من الروس في ازوف ثلاثين الفا ثم قتل العثمانيون في غرة صفر ١١٠٨ في تسيا على يد النمساويين وكان العثمانيون يريدون انتفاذ بلاد المجر من النمساويين

وفي خلال ذلك اجتمع ملوك اوربا للمرة الاولى لحل الاختلافات التي كانت بين الدولة العلية العثمانية وبين سبع دول من دول اوربا وبموجب ماتم من هذا الاجتماع ارجعت الدولة العلية الى بولونيا كامينيك وبودوليا واورونيا ونقلت الاولى للثانية عن الخراج الذي كانت تتقاضاه منها ومنذ ذلك العهد تصافت بولونيا والعثمانية لانهما ابقتا بدسائس حكومات اوربا التي يقصد بهما اضعاف الفريقين فكانت اوربا تترك روسيا تعتدي على العثمانية وبولونيا والسويد بدون ان تطلبها باحكام العدل والانصاف ومراعاة حق الجوار نعم كانت تفضي عن روسيا لئلا تقسطها من الارض العثمانية والبولونية والسويدية

تثبت حرب هائلة على عهد السلطان احمد الثالث بين السويد وروسيا وبولونيا وسكسونيا دامت منذ سنة ١٧٠٠ الى سنة ١٧٠٩ فانتهزم السويديون والبولونيون ولجأوا الى الارض العثمانية فتملأوا في بندر من اقليم بيسرايا فاكمرت العثمانية مشواهم الا ان روسيا لحقت بالمتهمين الى الارض العثمانية وفي خلال ذلك دخل الاسطول الروسي الى الاسطانة فاغتاظ السلطان واعلن الحرب عاهداً بقيادتها العامة الى الصدر محمد باشا البلطجي وحمي وطيس القتال بين عساكر الدولة بعضدها اناس من البولونيين وبين الروس في سهول هوسك فاركب الله القائد العثماني اكتاف العدو ولكن القائد العثماني عاد فارثي من كاترينا الاولى ملكة روسيا وعقد بين دولته والامبراطورية الروسية معاهدة اجحفت بمحقوق امته فعزله السلطان ونفاه الى جزيرة لانس وقتل خنقاً من ارتشوا معه من رجال الدولة اذ ذلك مثل وزير الداخلية ورئيس الكتاب وغيرهما واعلن السلطان ان هذه المعاهدة بين الدولة العلية وروسيا لاغية وعاد الى اعلان الحرب على العدو سنة ١٧١١ بقيادة يوسف باشا الصدر الاعظم فلوقت الحرب بسعي الروس في الاسطانة وعقدت معاهدة جديدة بين المتحاربين فوقع رجال روسيا على عهد الصلح ليسغلوا الدولة ويغنموا الوقت فلما ابلغوا مضمون المعاهدة للقيصر ابي الاقرار عليها فاعلن السلطان الحرب في شوال سنة ١١٢٤ ولم يظفر الروس في هذه الواقعة بالعثمانيين الا لان وزارتي لندرا والهائي كانتا تعضدانه على العثمانية وبولونيا والسويد وبمساعدها ووقت

الدولة العلية الحروب ووقعت في ادرنة يوم ١٣ حزيران ١٧١٣ عَلَى معاهدة صلح الى مدة خمس وعشرين سنة ولم ترع فيها مصلحة الدولة العلية وعادت روسيا فعدت معاهدة اخرى مع الدولة العلية سنة ١٧٢٠ من مقتضاها انه يحق له التدخل في شؤون بولونيا .

توفي السلطان احمد الثالث سنة ١١٤٩ هـ وخلفه السلطان محمود الاول فخارب
الفرس واضطر الى التخلي عن تبريز وفي سنة ١١٤٩ هـ وقع الفرس والعثمانيون عَلَى هدنة
لتتفرغ الدولة العثمانية لمقاومة اعتداء روسيا والنمسا . وازمعت روسيا ان تجتاز بجيوشها
بلاد بولونيا لتداهم الارض العثمانية فاغتاز لذلك السلطان محمود لانه مخالف للعهد
الموقع عليها ولم يسمع الروس لاحتجاج العثمانية فحاصروا مدينة ازوف واضطرت
الحكومة العثمانية ان تسوق جيشا في ٦ صفر ١١٤٩ هـ (١٧٣٦) وكانت قد سقطت
المدينة قبل ان ينجدها الجيش العثماني واستولت روسيا عَلَى اوتشاكوف وكبورت
وعلى كوزلوف وبغجه سراي وآق مسجد من بلاد القريم واتى الروس من القطنان سيف
هذه الوقائع ماسطرة لم التاريخ باحرف من نار حتى كتب المسيو كاستلنو سيف تاريخه
الذي قدمه الى القيصر اسكندر الاول بشأن هذه الوقائع مانعريه : ان الحملة لم تول
روسيا شرقا فان بلاد القريم اُحرقت ودمرت وربما كان مثل هذا العمل يغتفر عَلَى عهد
البربر لما فطروا عليه من الجهل ولكن احراق المدن في القرن الثامن عشر وتخريب اهم
المصانع والآثار وتدمير المعابد وابداء المدارس العامة وادخال الظلام عَلَى العقول باحراق
خزائن كتب الامة التي تريد الانتفاع بها في انارة افكارها والقضاء الشيوخ والنساء والاولاد
طعمة للذئبان لا يقصد منه الحرب بل اهلاك شعب عن بكرة ابيه »

ومخالفت روسيا والنمسا محالفة دفاعية وهجومية واحتالت الثانية لعقد مؤتمر مؤلف من
مندوبيها ومندوبي روسيا والدولة العثمانية فرأى الروس بموجب المعاهدة المبرمة ان
تلتى جميع المخالفات التي كانت أبرمت بين الدولة العلية وامبراطورية روسيا وان تسلم
الى هذه بلاد القريم وكوبان وجميع البلاد التي نزها التاتار ويعترف لمولدايفيا وفلاخيا
بانهم امارتان مستقلتان تحت رعاية روسيا ويعترف بان ملوك الروس هم قياصرة وان
تدخل السفن الروسية حرة الى البحر الابيض من خليجي البوسفور والدردينيل فلم ترض
الدولة بهذه الشروط المجحفة وعادت النمسا تستجيب قواها وحمي الوطنيس في بلاد

البلقان وهزم العثمانيون العدو حتى اضطر الروس الى ان يجرؤوا بانفسهم اسطولهم في بحر ازوف لئلا يسقط في ايدي العثمانيين

وفي سنة ١٧٣٩ عقد الصلح بوساطة فرنسا بين الدولة العثمانية من جهة ودولتي النمسا وروسيا من اخرى واعادت النمسا بلغراد وسابا كرا ورسونا وغيرها واصبح نهر الطونة والساف تحوماً بينها وبين الدولة العثمانية وقضت المعاهدة الاخيرة على روسيا ان تهدم حصون ازوف وتناكروج وتحب سفنها من بحر ازوف والبحر الاسود ولا تقهر الا على السفن الاجنبية وان تظل القريم مستقلة وتنال لقاء ذلك حرية المذهب الارثوذكسي في المملكة العثمانية وان تقيم لها سفيراً دائماً في الاستانة ووعد السلطان ان يمنح لقب امبراطورة للقيصرة حنة ايفانوفنا . ولم يجر في هذه المحالفة ذكر لبولونيا . وكان من نتائج هذه المعاهدة ان عرف الارثوذكس على عهد السلطان عثمان الثالث سنة ١٧٥٧ بان روسيا تعضد في البلاد العثمانية فكان اول عمل لم ان ينهوا دير الكاثوليك في يافا وهجموا على الفرنسيسكان وغيرهم من البابويين حتى في كنيسة القبر المقدس وكسروا المصاييح والآثار وغيرها وجردوا الرهبان مما كان لهم

ولما ابي اغسطس الثالث ملك بولونيا ان يدخل مع اعداء الدولة العلية في مخالفة ضدها اعترف به الباب العالي ملكاً وارسل من قبله الى فارسوفيا عاصمة البولونيين مندوباً سنة ١٧٣٧ وذلك على عهد السلطان عثمان الثالث وكذلك ابلى السلطان مصطفى الثالث بعد ثلاث سنين صاحب بولونيا بجلوسه على العرش وبدأت العلائق الحسنة بين الدولة العلية وحكومة بولونيا حتى كانت الدولة تصدر اوامرها المرة بعد المرة الى عمالها في شوسيم وبندر والى خان القريم ان لا يكذبوا صفو الصلات بينهم وبين بولونيا واذا نشأ على التخم خلاف يحلونه بالحسنى

وادخلت روسيا في غصون ذلك جنداً لها الى ارض بولونيا فاعترض الباب العالي عليها فاجابته بانها تنوي اطفاء فتنة داخلية وان العهد تقضي بان لا تتدخل العثمانية في الشؤون البولونية ومع هذا امر الباب العالي فاضطرت بولونيا ان تحسم الخلاف الذي كان قد حدث بين الشعب بداعي انتخاب ملك جديد فاتحدت بولونيا على امر يدها تحت حماية الدولة العلية حتى ان السلطان مصطفى الثالث لما ذهب الى جامع ايوب ليتقلد سيف عثمان الاول على العادة قدم له الجند كأس مشروب على نحو ما جرت العادة فاجابهم انه يرجو في الربيع القادم ان يشربه معهم على اسوار بندر وضفاف دينبر

ولقد كانت جل رغائب روسيا في ذلك العهد ان تقسم بلاد السويد والدولة العثمانية وبولونيا فكانت تسعى الى ذلك بكل حيلة وتعيد عن كل مخالفة كما فعلت سنة ١٧٦٧ بالاتفاق سرّاً مع ملك بروسيا وادخلت جيوشها الى بولونيا فاغتالت الدولة العلية لذلك اذ عدت هذه مقدمة الى جلب الدب الاكبر الى جوارها واعلن السلطان مصطفى الثالث الحرب على كاتريزة الثانية سنة ١١٨٢ هـ.

وفي سنة ١٧٦٩ و ١٧٧٠ حدثت بين الدولة العلية وروسيا وقائع كتب فيها الظفر للروس ولاسيا في الحرب البحرية التي هاجم فيها الاسطول الروسي الاسطول العثماني في نافارين واحرق السفن العثمانية بقيادة ربان انكليزي واحرقت مدينة تشسبا بالقرب من ازميز وسمع صوت التفدائف الى بعد خمسين فرسخاً والى ازميز تلى بعد ستة فراسخ ودام الحريق من الساعة الواحدة بعد نصف الليل الى الساعة السادسة صباحاً وكان ذلك في ١٣ ربيع الاول سنة ١١٨٣ هـ فغسر العثمانيون خمس عشرة سفينة في كل منها ٧٤ الى ١٠٠ مدفع وتسع سفن في كل واحدة منها من ١٥ الى ٣٠ مدفعاً وراكب واستولى الروس سفينة فيها ستون مدفعاً وخمسة زوارق ودامت الحرب بين الدولتين سنة ١٧٧١ و ١٧٧٢ واستولى الروس على القريم واحبوا عقد الصلح الا ان السلطان نشر في الحرم سنة ١١٨٧ (١٧٧٣) منشوراً يعلن فيه الحرب على روسيا فظفر الجيش العثماني في عدة وقائع في سنتي ١٧٧٣ و ١٧٧٤ وردوا الروس عن تجاوز نهر الطونة والى ماوراء سيلسترا وبيتا النصر كان حليف اعلامهم توفي السلطان مصطفى الثالث وكان قبيل وفاته اخذ منشوراً من حكومات بروسيا والنمسا وروسيا باتفاقهن على تقسيم بولونيا تقسيماً اولياً وذلك في سنة ١٧٧٢

وخلف عبد الحميد الاول اخاه مصطفى الثالث وفي ايامه اتفقت روسيا والنمسا على حرب الدولة العثمانية فاستوليا على اوتشاكوف سنة ١٧٨٨ وفي خلال ذلك كانت المانيا تحاصر بلغراد فغزن السلطان المائال مذكه حتى مات قهراً سنة ١٧٨٩ وظل خلفه سليم الثالث يحارب تبك الدولتين ولكن ردت الجيوش العثمانية على اعتابها واستولى الظافرون على بندر وغيرها واستولى النمساويون على بلغراد وسائر مدن الطونة وفي خلال ذلك احبت انكلترا وبروسيا والنمسا ان تحمل روسيا على توقيف الحرب على العثمانيين لاشتغالهم بشورة فرنسا الاولى ولكن كاتريزة صاحبة روسيا رأت الفرصة مناسبة لدوام الحرب واتمام رغائبها بشأن العثمانية وبولونيا الا ان جيوش العثمانيين ظفروا في عدة مواقع

بالجيش الروسي وذلك سيف البحر الاسود بالقرب من يكي قوله ثم بالقرب من آق ير (سباسبول) وانتهزم امير البحر الروسي في ٨ ايلول سنة ١٧٩٠ وتبدد اسطوله وبعد خمس وستين سنة في ٨ ايلول اي سنة ١٨٥٥ سقطت سباسبول ايضاً وفي خلال ذلك حدث لروسيا ما شغلها ببولونيا فعقدت الصلح مع الدولة العلية وفي سنة ١٧٩٣ قسمت بولونيا تقسيماً ثانياً وفي سنة ١٧٩٥ قسمت نفسها ثالثاً بين الدول الثلاث ولم تقم دولة من الدول بمنت شقة في الاعتراض على هذا العمل الا الدولة العلية التي اعترضت على نزع استقلال بولونيا بالقول والفعل ولكن قدر فكان واستولت روسيا وبروسيا والنمسا على بلاد البولونيين بعد مذايح بيعت فيها الارواح بيع الجبان.

ولقد عازمت حكومات اوربا سنة ١٨١٥ ان تقيم في فينا مؤتمراً دولياً لتقرير حال السياسة وسعت روسيا ان لا يقبل فيه مندوب من الدولة العلية فنجحت في مسعاها وكان من اثر ذلك ان اخذت روسيا تحرض اليونان والصرب والبلغار من رعايا الدولة العلية على نزع ايديهم من حكومتهم فقصي في دساتيرها الوفاء من هذه العناصر ومن المسلمين ايضاً

وحدثت بين سنتي ١٨٤٠ و ١٨٤٨ عدة فتن داخلية في البلاد العثمانية وكذلك في بلاد الفلاخ والمجر وتدخل الباب العالي في شؤون ولايات الطونة واهم ذلك فتنة المجر ولو جرت الدولة العلية على تحالفها مع بولونيا والمجر وعنصرها من العناصر التي تحب العثمانيين كثيراً لنجت هي وهم من غوائل سياسية كثيرة

فلما ان الدولة العلية ناهضت لحفظ استقلال بولونيا بالقول والفعل وذلك على عهد مصطفى الثالث الذي اعلن الحرب على كاترينا الثانية لجرد الدفاع عن بولونيا فبعثت الدولة الصدر محمد امين باشا الى نخوم شهري الطونة وديستر سنة ١٧٦٨ فحاولت كاترينا ان تدخل اليه السم فاكتشفت المكيدة وشق الاطباء ولكن عاد الصدر فتناول رشوة من روسيا هو وامير مولدافيا وترجمان الباب العالي فلما اكتشف السلطان امرهم امر باعدامهم في آب سنة ١٧٦٩ وارسل الباب العالي قائداً آخر ودام القتال بين البولونيين والعثمانيين من جهة وبين الروس من جهة أخرى الى سنة ١٧٧٠ وانتهى على مامر بك اتفاقاً بتدمير الاسطول العثماني في تلك الوقعة المشهورة

فالمسلمون والبولونيون اصدقاه منذ عرفوا بايكيد لم اعدواهم حتى ان بولونيا لم ترسل بجيش منها مع جيوش الصليبيين الى الشرق لما قام هؤلاء باستخلاص البيت المقدس

من ايدي المسلمين . ويكفي في عناية الدولة بالبولونيين وعنايتها بالبحر بين انفسا انها فتحت صدر بلادها لقبول المنكوبين منهم والعاملين على انهاض بلادهم واسترجاع سلطانتهم فانزلتهم في ارضها على الرحب والسعة ووسدت الى بعضهم المناصب واستمعات بهم على تقوية كلمتها الجندية والسياسية حتى ان الدولة لما ارسلت الى مؤتمر بكرش الدولي مندوبا من قبلها في اوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر اعطت بارت دول اوربا اذا رضيت بان تعيد مملكة بولونيا الى حالتها بعدل الباب العالي علنا عن امتلاك ولايات الطونة ولذلك رأى عقلاء من البولونيين ان تولف كتاب بولونية سنة ١٨٥٤ تحت رعاية العثمانية فتألف عسكر الفوزاق وكان منهم كتاب الدراغون التي جاءت الى سورية ايام فتنة سنة ١٨٦٠ في جبل لبنان

وكان من كتاب البولونيين في حرب القريم ان ابلوا مع العثمانيين بلاءا حسنا ولما انتهت الحرب اقطعتهم الدولة بعض قرى في ضواحي بروسه واسسوا لهم بلدة في ضواحي الاسمانه لانتزال الى اليوم وقد دان بعض قوادهم بالاسلام مثل ميخائيل ساجوفسكي الذي سمي بعد محمد صادق باشا ولو بورد زافي الذي لقب بمحمد حلي وغيرهما من رجال البولونيين الذين اخلصوا الخدمة للدولة العثمانية . وابن محمد صادق باشا المشار اليه هو مظفر باشا متصرف جبل لبنان السابق .

وهكذا كان الاتراك والبولونيون يتحابان كلما طال المدى خصوصا والعثمانيون يعملون حسن معاملته البولونيين ايام استقلالهم للتتار المسلمين النازلين في بلادهم ليتوانيا منذ سنة ١٤١٠ وكيف كانوا يعتمدون عليهم في الدفاع ويؤلفون منهم كتاب تغني عنهاها في رد هجمات المهاجرين على بلادهم وكانت لهم حريتهم المذهبية والشخصية حتى كانت تسمح لرجالهم ان يتزوجوا من النساء البولونيات لثقل النساء عند التتار وان يتبعن مذهب رجالهن وما قط تزوجت مسلمة من بولوني كما انه لم يتزوج ناتاري من يهودية وكانت بلاد بولونيا قديما الطريق التجاري لبلاد الشرق الى اوربا لان بولونيا كانت اول بلاد المسلمين ولذلك ترى العادات والاذواق واحدة في البولونيين واكثر العثمانيين وبين البلادين من الصلات التجارية شيء كثير ولا سببا بعد ان زادت مدينة البولونيين ونما عددهم الذي بلغ كما قال مؤلف الكتاب الذي اقمنا عليه في ترب هذه النبذة ثلاثين مليوناً وهم نازلون بحر البلطيق الى البحر الاسود ومن نهر اودر الى داوينا الى دنيبر .

ذهب استقلال بولونيا منذ نحو قرن ونصف ودعاة استقلالها مازالوا منبئين في البلاد لم يدخل اليأس على نفوسهم والاب يلقن اياه والام تلقن ولدها التناغي بالاستقلال ويملون ابناءهم تاريخ بلادهم وعظمتها وبطش الحكومات التي تقاسمتهم ولا سيما روسيا ويذكرون لها مذايبحها وافاعيلها فيهم فهل يوفق اولئك الدعاة الغيورون الى ما نصبوا اليه ذات يوم ياترى ام يخضعون على الدهر لمن استصفوا ارضهم وديارهم .

ان انقضاء القرون في حياة الشعوب لاشأن له بقدر كبر السنين في حياة الافراد وما المثة سنة بالشيء الكثير على امة تطلب التجديد وتزرع ربقتهما من يظلمها ولذلك يرجى الاستقلال لكل امة كانت لها فئدتها كالمصريين والجزائريين والهنديين وغيرهم ممن استعمرت بلادهم واقرب الامم بالاستقلال البولونيون والليتوانيون .

الفصيح العامي والعامي الفصيح

من ممثلي لغوي مكرزل صاحب جريدة الهدى اليومية في
نيو يورك

ليس في اللغة العربية معجم واحد يستحق ان يدعى نعمة الرائد بوفرة الشواهد وكثرة الفوائد وضبط الشوارد ولا في غير اللغة ما يبدل على ازالة الابهام وكشف الغامض بايراد ابيات غول الشعراء وعبارات بلغاء المشين على سمة الكلمة والعبارة كما ترى في وبتر في الانكليزية وليتر في الفرنسية فتر في اكثر النكشاف بقرصون في مالا يعذرون عليه ويتوهمون ان البيان في الدخيل والحوشي والبلاغة في العقيم والوحشي وان كل من حرف عرف .

فاللغة في حاجة الى معجم تقام على كل حرف وكلمة منه شواهد شعرية وثروة يسلم معها الفروق ويستقيم ويرد الكلام المدعو عاميا الى اصله الفصيح ويعدل عن التفرع الى السهل المقبول

قد تها ثوب اللغة حتى كاد يسقط من نطفة فترى كل من تحيف يباه بحجة وجدل عن ادعاء ومكابرة يحتجب الفصيح ويستلب البليغ ويحرك خشائه غضبا على كل من